فصل من « أصول الدافع الجنسي »

بحث عام حول الانحراف الجنسي

بقلم كولن ولسن

من المناسب ان ابتدىء هذا الفصل بطرح السؤال الذي هو محور هذا الكتاب : اي دور يلعبه الجنس في وجود الانسان الشامل ؟

وهذا السؤال يجر مباشرة الى سؤالين اخرين . الاول ، وهو الاكثر الحاحا ، يتعلق بطبيعة الدافع الجنسي . اما الثاني فهو : ما هو المعني بـ « وجود الانسان الشامل ؟ » وان الوصول الى جواب مرض للسؤال الاول سيمكننا بالتالي من القاء الضوء على السؤال الثاني .

ان اكثر الامور جلاء بالنسبة للدافع الجنسي هو ان الانسان و « الطبيعة » لهما في هذا المجال ، غايتان متباينتان . ان التناسل هو غاية الطبيعة كما يبدو . اما غاية الانسان فهي ان يحصل على اكبر قدر من الاستمتاع بالنشوة الجنسية .

ومن الصحيح القول ان اغراض الانسان والطبيعة قلما تتوافق وتلتقي التقاء تاما . فالطبيعة تقتضي من الانسان ان يهتم بالطعام بالقدر الذي يضمن له البقاء والصحة الجيدة . ولكن معظم الناس المتمدنين لا يكتفون بذلك فيتعدى تولعهم بالطعام القدر الذي تتطلبه الطبيعة ، والنهم يقود بعضهم الى حتفه . لكن معظم الناس في الغالب يبقون ضمن حدود « ما تتطلبه الطبيعة » . وينطبق هذا المثال على حالات الشرب والنوم والتمرين . وفيما يتعلق بالدافع الجنسي ، يبدو ان الهوة بين غاية الانسان وغاية الطبيعة واسعة بشكل غير عادي . ولهذا السبب فان الانحرافات الخاصة بالدافع الجنسي هي اكثر من تلك التي نصيب اي دافع انساني اخر من دوافع حفظ النوع .

هنا تنشأ المشكلة الاولى . فالشذوذ يفسر عادة بانه « عمل غير طبيعي » ومن السهل بمكان فهم كلمة «غير طبيعي» عندما يحس الانسان بميل غريزي قوي نحو ما هو غير طبيعي . وعلى سبيل المثال ، فان احدا لا يشك في ان اكل الغائط هو عمل غير طبيعي لان ما لفظه الجسم لا يمكن بطبيعة الحال ان يكون غذاء للجسم .

لكن السؤال هو : « كيف نستطيع ان نحكم بما هو طبيعي في حالة مثل حالة الجنس حيث تتسع الهوة بين غاية الطبيعة وغاية الانسان ؟ »

تفسير تولستوي للعادية :

ان المنطق العادي يساعد الى حد ما ، وقد حدد تولستوي في روايته « سوناتا كرويتزر » The Kreutzer Sonata جوهر النظرة الى الجنس المستقاة من المنطق العادي . وروايته هذه تحمل في الاساس طابع الكتابات الوسليانية (نسبة الى القس الانكليزي جون وسلي مؤسس مذهب النظامية الديني) ضد الحرية الجنسية. فبودسنيشيف، قاتل الزوجة ، يشعر بان المجتمع المعاصر قد تملكه نوع من الجنون الجنسي . وذلك ان الزيادة في اوقات الفراغ قد منحت الانسان مزيدا من الطاقة الفائضة التي يصرفها في سعي محموم لاهث وراء المتعة . ان الزوج او الزوجة حسب النظام الطبيعي للاشياء لا يملكان القدرة على ممارسة الجنس بكثرة ، فهي منهوكة بانجاب الاطفال وهو ينهك بالعمل اليومي ويحدد عمله من انصرافه الى الجنس . اما الطبقة الارستقراطية العاطلة (وبالذات الارستقراطية « المثقفة ») فهي تصرف ايامها وساعاتها في التفكير في الجنس ، وهو التفكير الذي يختفي في مراحله الاكثر براءة تحت ستار رقيق من الحب . وقد بدأت غيرة بودسنيشيف من زوجته حين قامت بعزف « السوناتا التاسعة » للبيانو والكمان لبيتهوفن بمرافقة شاب ارستقراطي .

وقد بين تولستوي أن مثل هذه المشاركة الثقافية الفنية ما هي الا عذر جديد لاقامة علاقات قد تؤدي الى الخيانة الزوجية . وقد توصل في روايته هذه الى ان العلاقة الجنسية الطبيعية الوحيدة هي التي تهدف بالذات الى انجاب الاطفال . وكل ممارسة جنسية اخرى تجري بقصد المتعة الخالصة ، حتى بين الرجل وزوجته ، فهي عمل « غير طبيعي » .

وميزة هذا الرأي على الاقل هي ثباته وتماسكه ، فهو يتجاوز تعاليم القديس بولس بمرحلة واحدة ويماثل تعاليم الكنيسة الكاثوليكية حول منع الحمل . انه في جوهره رأي ديني ، فهو يعلن ان ميول الانسان ليس لها اي دور في تحديد ما هو طبيعي وانه يجب الانصياع لرأي « اعلى » حتى وان كان هذا الرأي مناقضا لما يعتبره الانسان « طبيعيا تماما » .

ان عددا قليلا جدا من الناس ، من هم على استعداد لان يتفقوا مع تولستوي على تفسيره للعادية او الطبيعية . وقد عرف معظم الذين كتبوا عن الجنس ، من « اليس » الى « كرافت ابينج » ، الجنس الطبيعي بانه « نشاط جنسي يؤدي في النهاية الى عملية التناسل » . وهذا الرأي يعكس بعض التناقضات . انه يقول ان الجنس يكون طبيعيا اذا كانت النتيجة الاخيرة هي حدوث قذف في المهبل ، بغض النظر عما ان كانت قد سبقت عملية القذف ممارسات غير طبيعية . وبالتالي، اذا تعمد الرجل القذف خارج المهبل او استعمل مانعا للحمل اعتبر اكثر « شذوذا » من الرجل الذي يضرب زوجته بجنون لفرض التهيج الجنسي او الرجل الذي يغتصب فتاة بعد ان يفقدها رشدها . لكن الاعتراض الرئيسي على هذا الرأي هو انه يسيء الى المنطق السليم حين يجعل الغاية ، وليس الوسيلة ، هي التي تقرر الشذوذ من عدم الشذوذ . فاذا كان القذف هو اصلا الغاية من معظم الممارسات الجنسية ، افليس من المؤكد اذن ان الوسيلة التي تتبع للوصول الى هذه الغاية هي التي ينبغي ان تكون المقياس الذي يقرر الشذوذ من عدمه ؟

ان المفهوم « السيكولوجي » للشذوذ هو حكم عملي مناسب، لكنه لا يبدو مصيبا الا لان معظم الرجال الذين يتمون عملية القذف في داخل المرأة يصلون الى التهيج الجنسي بالطرق العادية .

جيد وكوريدون (١) :

كتب « جيد » الذي لم يخف ميوله اللواطية يوما ، اربعة حوارات بين قاص يتمتع بميول جنسية عادية وبين صديقه « المنحرف جنسيا » كوريدون ، حاول فيها ان يأتي بتبرير فلسفي للشذوذ الجنسي . وقد اعتبر الكتاب مجرد دفاع عن اللواط ، ولقد قال جيد عدة مرات بانه يعتبر هذا الكتاب اهم اعماله ، وهو ليس من السذاجة بحيث يلقي بهذا الحكم لمجرد ان الكتاب يدور حول احد اهوائه المحببة اليه. ذلك ان التساؤلات التي يطرحها هذا الكتاب تتعدى بكثير قضية ما اذا كان

(١) هذا الاسم يرمز في الاصل الى راع شاب ورد اسمه في الاساطير الاغريقية .

الشذوذ الجنسي « طبيعيا » او « مستوجبا للزجر » .

ان جيد يشير الى ان الرغبة الجنسية عند الحيوانات تنشأ عادة من الرائحة التي تصدرها انثى الحيوان في حالة التهيج الطبيعي ، ولذلك يمكن اعتبارها حالة « جسدية » طبيعية . ثم يضيف : ومع ذلك فانه من الخطأ القول ان ذكر الحيوان لا يحس بالرغبة الجنسية الا حين يشم رائحة الانثى هذه ، لان الرغبة الجنسية عارمة وقوية لدى الذكور الى حد ان الذكر يلجأ احيانا الى ركوب ذكر اخر او الاحتكاك بجسم ما ، لاستحضار النشوة الجنسية .

وعلى كل حال فان رائحة الانثى هذه توحد وتوجه غرائز الحيوان الجنسية . والانسان يفيض كذلك بالرغبة الجنسية . وفي حالته لا توجد هناك رائحة الانثى التي توحد غرائزه وتقودها نحو الجنس الاخر في لحظة معينة . فالحافز الذي يوحد غرائزه ويحرضها هو حافز عقلي محض . وهذا هو السبب في كثرة انواع الحوافز او بتعبير اخر « الشواذات » . فالرجل « الطبيعي » يتهيج لدى رؤية امرأة عارية ، لكن الرجل الذي يفضل امرأة سمينة جدا او نحيلة جدا او متوسطة السن ذات مظهر امومي ليس بالضرورة « غير طبيعي » ان لم تهيجه المرأة العارية التي لم تتوافق مع ميوله الجنسية . وكذلك فان الرجل الذي يهيجه اكثر من اي شيء اخر منظر امرأة في ثيابها الداخلية ، او امرأة ذات شعر طويل منسدل خلف ظهرها قد لا يكون شاذا ابدا .

يقول جيد : وعلى هذا فان الرجل الذي يفضل صبيا او رجلا اخر ، لا يكون قد ارتكب عملا شاذا على الاطلاق . ومن المعروف جيدا ان اللواط لا ينتج نسلا ، ولكن جيد يورد في كتابه امثلة عن بعض اللواطيين الذين مارسوا حياة عائلية معتادة مع زوجاتهم وانجبوا اطفالا. ويبدو ان جيد يلمح هنا الى انه يجوز للرجل او المرأة ان يمارس او تمارس ، علاقات جنسية كل مع جنسه ، شريطة ان يؤديا واجبهما في اقامة الحياة العائلية وانجاب الاطفال .

وكل هذا يطرح تساؤلات ذات دلالات كبيرة وعميقة . ففي مقالي « دراسة في جريمة القتل » كنت قد قلت ان الرغبة الجنسية عند الاطفال « غير مميزة » بمعنى انها ليست اكثر من مجرد الحاجة الى اثارة العضو التناسلي . فهي اذن حاجة بسيطة كالحاجة الى الطعام . ففي مثل هذه السن المبكرة تكون الشهية الجنسية خاضعة للتأثير « التنويمي » لشيء ما ، بحيث يرتبط هذا الشيء بالاستمتاع الجنسي. وقد يكون هذا الشيء دمية او طاقية نوم او لباسا . وقد يكون ايضا اعضاء الطفل التناسلية نفسها او الاعضاء التناسلية لطفل اخر . ومن حسن الحظ ان « الشيء » الذي يمارس مثل هذا التأثير على معظم الرجال هو الجنس الاخر . وينبغي هنا ان اشير الى حقيقة اساسية وهي ان الرغبة الجنسية في ابسط صورها هي احد مطالب العضو التناسلي وهي ملازمة له تماما كما ان الجاذبية المغناطيسية ملازمة لحجر المغناطيس ، والفرق بينهما هو ان العضو التناسلي اكثر شبها بالمغناطيس الكهربائي الذي اما ان يكون ممغنطا او « هامدا » بلا حياة ان ما يحتاج اليه العضو التناسلي هو نوع من الكهرباء الاستاتية .

وقد نكون على علم بسيط بـ « المولد » الذي يولد الكهرباء الجنسية ، لكننا لا نستطيع ان ننفي وجود هذه الكهرباء . وينبغي علينا عند بحث الدور الذي تلعبه المخيلة في الجنس الا ننسى هذه الحقيقة الواقعية التي هي احد العوامل الجسدية فينا . وقد يفاجيء رجل منغمس في افكار بعيدة عن الجنس برعشة داخلية حين يحتك بجسم ما ، ذلك ان كهرباء جنسية سرت في جسمه حينذاك .

عند هذا الحد يمكن لنا ان نطاق تعميما واحدا فقط حول الغريزة الجنسية ، وهو انها تعمل على مستوى اعمق من اي دافع انساني اخر، بما في ذلك دافع السلامة الشخصية .

وعلى العموم ، فان بامكان الرجل ان يفهم ميوله واذواقه . فاذا كان الرجل يسعى وراء المال او الشهرة ، او السلطة ، او حتى اذا كانت به رغبة عارمة لاقتناء لوحات الرسم او الكتب القديمة فان بامكانه ان يستقصي منشأ هذه الرغبة وان يتفهم العوامل والظروف التي كونتها ونمتها فيه . ان استيعاب الدافع الجنسي وادراكه ادراكا واعيا، اكثر صعوبة من استيعاب وادراك اية دوافع اخرى . فقد يظن الانسان انه يدرك هذا الدافع تمام الادراك، فاذا به يباغت بعكس ذلك تماما .ففي رواية برنارد شو «الانسان والسوبرمان» مثلا ، نرى ان رجلا مثل «تانر» Tanner تسيره رغبة عارمة في ان يصلح العالم ، ينجرف بالرغم من سداد رأيه الى مضاجعة امرأة لا يكن لها احتراما كبيرا . بل نسمعه يقول وهو يحتضن « آن » : « ان قوة الحياة تسحرني ، وحين اضمك الي فانني اضم الدنيا كلها بين يدي » ثم يقول : « قوة الحياة ، انني في قبضة قوة الحياة » .

ويشير رومان رولان الى هذه النقطة بالذات في روايته « جان كريستوف » حين يقول : « انه ليس هناك اية رابطة مشتركة بين والدي كريستوف ، وان والده في الواقع ليست لديه اية فكرة عن السبب الذي حدا به الى ان يضحي بمهنة ذات مستقبل باهر ، لكي يتزوج من خادمة صغيرة . » ويردف رولان : « لكن ذلك ما كان ليؤثر على القوة المجهولة التي القت به في احضان الخادمة الصغيرة الشقراء . لقد لعب دوره » في (انجاب رجل عبقري) .

لكنني لا املك اية رغبة عند هذا الحد في ان احاول تقديم اية تعميمات عن « التطور » ، فكل ما اريد ان اشدد عليه هو القوة الفعلية للدافع وقدرته على اكتساح كوابح الوعي .

يروي هيرشفلد Hirschfeld حكاية طريفة عن طبيب في الخامسة والثلاثين من عمره يعاني نوبات من اليقظة النومية ، منذ طفولته ، ومن الصرع ايضا . وقد وجهت اليه يوما تهمة الاعتداء الجنسي على طالبة صغيرة في الثالثة عشرة من عمرها . كان الطبيب يعالج الفتاة التي كانت مصابة بمرض « الاكزيما الجلدي » المنتشر فوق جسدها .

يقول هيرشفلد : « جلس الطبيب على الاريكة وجذب رأس الصبية اليه بحيث ان جسدها قارب جسده ، فاثار غرائزه الجنسية واحدث عنده حالة انتصاب . وعند ذلك شد الصبية اليه . اما ما حدث بعد ذلك فان المتهم لا يذكر شيئا بوضوح ، فعندما عاد اليه وعيه الفى نفسه جالسا على الاريكة ، بينما وقفت الصبية تبكي بين فخذيه ... ولم يصف ذهنه الا حين عاد الى شقته ... »

والذي حدث ان الطبيب استطاع اثناء « غيبوبته » ان يتوصل الى النشوة الجنسية عن طريق الاحتكاك بجسد الصبية.وذكر هيرشفلد ان الطبيب كان يعاني في ذلك الوقت من حالة انقباض ، وكذلك من حالة ارهاق بسبب كثرة العمل .

وقد يبدو من الوهلة الاولى ان قصة الغيبوبة ، وان التركيز على حالة الانقباض النفسي هما محاولة عرجاء لتبرير عمل واع تماما . وقد يكون ذلك صحيحا . لكن هناك عدة حقائق يجب التنبه لها ، واول هذه الحقائق هي ان وعي الانسان محدود بشكل غريب جدا . فمع ان كل الكائنات البشرية تمتلك ذاكرة قوية ، الا ان مقدار وعيها الفعلي للحياة اليومية ضئيل وباهت نسبيا . فالانسان لا يستطيع الولوج الى ما يختزنه وعيه الباطن من المعرفة والحوادث الا في حالات نادرة ،وبسبب ذلك لا تعلمه الا قوانين التطور . (لقد شبهت الوعي الانساني في مكان

مكتبة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .

اخر بحصان عصبت عيناه بغمامات في طريق مزدحم بحركة السير لان كثيرا من « الادراك الواعي » لما يجري حوله سوف يلجمه عن حرية الحركة) . والكائنات البشرية تحد من مقدار وعيها عن عمد لان انصراف الذهن الى شاغل واحد لا يتمشى مع اتساع الوعي . بل ان اغلب الناس في حاجة الى ان ينصرفوا باذهانهم الى شاغل واحد من أجل البقاء والاستمرار . ويبدو في الغالب ان « الطبيعة » لا تبدي اي اعتراض حين يستغني الانسان عن احساس الدهشة والعجب . فهي لا تصر على ان تكون حواس الانسان متشعبة وحادة كحواس الطفل . فاذا حاول الانسان في حالة ارهاق او انقباض ان يستغني عن شهوته الجنسية، فهي قد ترتد ضده بطريقة سوف نصدمه .

ان الدافع الجنسي هو ابن الطبيعة المفضل ، ومهما تكن طاقة الانسان مثقلة بالمشاغل والمشاكل فان الدافع الجنسي لا بد من ان ينال نصيبه (١) . ومن الطريف أن نلاحظ ان كثيرا من الجرائم الجنسية التي رافقتها حالات من الغيبوبة او النزعات الجامحة العنيفة قد صدرت عن رجال كانوا يعانون من حالة اعياء او انقباض (٢) .

وينبغي علينا الا نسرع فنرفض الادعاء القائل بأن نزوة عنيفة مباغتة تنبعث من الوعي الباطن قادرة على ان تطوع الارادة الواعية ونسخرها، افول ينبغي علينا الا نرفض هذا القول على اعتبار انه محاولة للتملص من عواقب الفعلة . ولقد وصلنا هنا الى الحد الذي يمكننا فيه ان نطلق التعميمات التالية حول الجنس عند الانسان :

١ ــ ان الجنس عند الانسان كما هو عند الحيوان لـــه مظهر فزيولوجي واضح ، الا وهو توق الاعضاء التناسلية الى الوصول الـى النشوة الجنسية ، ومن ثم القذف ، الذي يشبه « رعشة » ناتجة عن تيار « كهربائي » جنسي يريد ان ينقذف الى الخارج .

٢ ــ ان رائحة الانثى ليست هي العامل الذي يوحد الحوافـز الجنسية عند الرجل ، مع انها قادرة طبعا على التأثير عليه . والعامل الذي يوحد ويوجه الحوافز الجنسية الانسانية هو عامل عقلـــي او تصوري محض مع انه يرتبط ارتباطا قويا ، عادة ، بانفعالات شهوانية جسدية .

٣ ــ ان الغريزة الجنسية من دون كل الغرائز والرغبات الانسانية كلها ، هي التي تتخطى اكثر من غيرها ادراك الانسان الواعي لنفســه ولاهدافه ومطالبه . وهي اشبه ما تكون بـ « كيان منفصل » يحمله الانسان معه ولا يعيه او يفهمه في الغالب .

فرويد وجورديبف :

لم يقم اي عالم نفساني او فيلسوف حتى الان بوضع نظرية جامعة حول الدوافع الجنسية . اما فرويد فقد اقتصر اسهامه في الغالب على التأكيد بأن الطاقة الجنسية الغريزية (وهي ما يسميه بالليبيدو) ، هي من أقوى واعمق النوازع الكامنة في وعي الانسان الباطن . وقد اثار هذا الرأي ضجة عامة حينما اعلنه فرويد في بداية القرن الحالي ،فقد كان القرن السابق هو عصر المثالية الاجتماعية ، وكان رجل القرن التاسع عشر يحب ان يعتقد ان اعمق نوازعه ذات طبيعة اسمى مما يدعيـه فرويد وانها تنمي على سبيل المثال الى امور ، كالثقافة والتقـدم الاجتماعي . ومنذ ذلك الحين وانسان القرن العشرين اكثر ادراكا للدافع الجنسي ، حتى انه بات « اليوم » يلمسه في معظم النشاطات التي تحفل بها حياته اليومية .

يدعي الفرويديون ان بعض الفضل في نمو الادراك الجنسي يعود الى التحليل النفساني . لكن هذا الادعاء قابل للاخذ والرد . الا ان الامر المؤكد هو انه لو لم يظهر فرويد ويؤكد غلبة الدافع الجنسي ، لكانت هذه النظرية قد ظهرت تدريجيا من تلقاء نفسها بفعل « الجـو الفكري » الذي يسود القرن العشرين .

فيلسوف واحد فقط من بين الفلاسفة المعاصرين هو الذي حاول ان يأتي بنظرية جامعة عن الجنس . هـــذا الفيلسوف هـــو جورج جورديبف . ومع ذلك فان كتابات اتباعه تحتوي على النزر اليسير حول هذا الموضوع . وقد اعلن جورديبف انه توجد في الانسان سبعة « مراكز » تتحكم باعماله وتصرفاته . هناك مركز غريزي ومركز عقلي ، ومركز عاطفي ومركز حركي (وهو الذي يتعلق بحركات الجسم) ومركز جنسي. وهناك كذلك « مركزان اعليان » . وكل مركز من هذه المراكز يعمل بطاقة مختلفة ، ومن سوء الحظ ان البشر يعمدون الى الخلط بين كافة هذه الطاقات . فهم يستعملون طاقة العاطفة لتسيير العقل ، وطاقة الغريزة لتسيير العواطف ، وطاقة العقل او العاطفة لتسيير المركز الجنسي وهكذا . والظاهر ان كل المراكز تعمد الى اختلاس الطاقة من المركز الجنسي ، وتستخدمها لاغراضها الخاصة . (ان جورديبف كان سيقول بان روبرت ايروين استخدم طاقته الجنسية لتسيير عقله وعواطفه) . ثم هي تعطي المركز الجنسي مقابل ذلك طاقة عديمة النفع من عندهـا

(١) هناك قصة تؤكد هذا سمعتها من جندي اشترك في « تحرير » معتقل الماني عام ١٩٤٥ . فقد روى الجندي انه لدى « تحرير » المعتقل، انطلق المعتقلون والمعتقلات وراحوا يرتمون في احضان بعضهم البعض بطريق حيواني همجي على الرغم من حالة الجوع التي كانوا يعيشون فيها . ويبدو ان الجوع الهب شهوتهم الجنسية بدلا من ان يخمدها.
وللانصاف اقول انني سمعت نفيا قاطعا لهذه القصة ، لكن النفي جاء من انسان لم يشهد او يشترك في اية عملية « تحرير » مماثلة . وبهذه المناسبة فان كرافت انج يقول : « ان التشوهة الجنسية عنـد المسلولين تكون قوية بصورة غير عادية » .

(٢) راجع على سبيل المثال قضية روبرت ايروين الواردة في كتاب « قاعة المحكمة » Courtroom تأليف كورينس رينولدز ، وكتـاب « عرض للعنف » Show of Violence تأليف فردريك وريام، وكذلك في كتابي « عصر التخاذل » . لقد حاول ايروين بالفعل ان يبتر عضوه التناسلي لكي يحتفظ بكامل قواه وطاقته لممارسة تمرين للمخيلة اسماه « التصور الذهني » وقد قام ايروين بعد ذلك بشـلاث جرائم قتل بسبب الغيرة .

اطلب منشورات

دار الاداب

في الاردن

مـــن

المكتب التجاري

لصاحبه محمد موسى المحتسب

القدس ــ تلفون ٤٤٦٥

عمان ــ شارع الملك حسين ــ مقابل بنك انترا

بحيث يضطر هذا المركز في كثير من الاحيان الى ان يعمل بطاقة العاطفة او حتى بطاقة العقل . وقد قال جورديف لاوسبنسكي يوما : « انه لشيء عظيم جدا ان يعمل المركز الجنسي بطاقته الخاصة . »

وقد تبدو هذه الملاحظات حول « المراكز » غير علمية على الاطلاق بالنسبة لبعض القراء ، والواقع ان جورديف لم يحاول ان يضع نظاما فلسفيا فحسب بل حاول كذلك ان يخلق ديانة جديدة ، لها شعائر ورقصات خاصة (وهي تكون جزءا هاما من « نظامه » هذا) ولها كذلك نصوص شبه مثولوجية لا يقبلها معظم الناس بسهولة . وليس هناك اي « دليل علمي » فيما يتعلق بوجود مثل هذه « المراكز » . ومع ذلك فسواء اصح ما يقوله جورديف عنها عموما ام لا ، فان احدا لا يستطيع ان ينفي ان هناك بعض الحقيقة في قوله « انه لشيء عظيم جدا ان يعمل المركز الجنسي بطاقته الخاصة » وهذا القول على الاقل ، يتطلب تأملا دقيقا (1) .

وليس باستطاعة من قرأ رواية « عشيق الليدي شاترلي » ان يشك في ان احد الدوافع التي حدت بلورنس ان يكتب روايته هذه ، هو احساسه بالنقص الاجتماعي ، وانه كان يتمثل نفسه في مكان الحارس الذي يضاجع سيدة ارستقراطية تحمل لقب « ليدي » . وهذه المشاعر الاجتماعية ليست عاطفية فحسب ولكنها فوق ذلك عاطفيةبطريقة سلبية (يعلن جورديف ان العواطف السلبية مثل الخوف والكراهية والاشمئزاز عديمة النفع تماما بالنسبة « للجهاز الانساني » وانها مجرد نفايات) .

وبالنتيجة فان العاطفة الجنسية في رواية لورنس ليستخالصة وصرفة . وبالطريقة ذاتها فان كل من يقرأ مذكرات كازانوفا لا بد ان يحس كذلك بأن دوافعه ليست جنسية صرفة . فعلى الرغم من كونه كاتبا رائعا فان كازانوفا يظهر بمظهر الرجل الضعيف المغرور الذييعنى في الغالب بما يخلفه من اثر في نفوس الاخرين . وبالتالي فانه من الصعب ان نصدق ان طاقة المركز الجنسي هي وحدها التي دفعته الى الغواية . ويبدو ان ما دفعه الى ذلك كان نوعا من حب النفوذوالسيطرة لاقناع نفسه باهميته الشخصية (1) .

هكسلي والجنس :

هل توجد هناك امثلة في الادب على المركز الجنسي الذي يعمل بطاقته الخاصة ؟ ليس هناك مثال واحد على ما اعرف . وقد يكونسبب ذلك ان الذين كتبوا عن الجنس خلطوا بينه وبين طاقة العقل او طاقة العاطفة . والطاقات الجنسية الحقيقية تكون دائرة كهربائية مقفلة . والرجل الذي خبر هذه « الدائرة » لا يحس بأي دافع للكتابة عنه،مع ان هناك عددا قليلا من الامثلة التي يبدو وكأنها اقتربت من وصف المركز الجنسي حين يعمل بطاقته الخاصة ، وبعض هذه الامثلة موجودة في كتابات الدوس هكسلي . فروايته « انتيك هاي » Antic Hay مثلا تدور في الغالب حول مواقف جنسية غير صادقة وغير اصيلة ، ومواقف وضيعة من اللاتمييز ، ولا هي بمجدية ولا بمرضية .

لكن هناك بالمقارنة موقفا جنسيا واحدا كامل الارضاء :

كان جمبريل على علاقة بفتاة يحبها اسمها اميلي . وذات ليلة وبعد حفل موسيقي احسا بعده بنشوة عاطفية تطهرانهما ، افتاد جمبريل حبيبته الى الفراش :

« وبرقة متناهية ، راح يضم اليه كتفها ثم ذراعها النحيل الطويل، بينما راحت اطراف اصابعه تمر برفق وببطء رائع على جلدها الناعم الاملس ، وتنسل ببطء من جيدها الى كتفها ثم تتلكأ عند مرفقها وتعود

ـ التتمة على الصفحة ٥٩ ـ

(1) يتضمن كتابي « اللامنتمي » موجزا قصيرا عن اراء جورديف. اما كتاب « دراسة في تعاليم جورديف » فهو افضل مرجع عن هذا الموضوع .

(1) راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب .

الغنية غجرية

على حفنة الرمل تنشف هذي الرياح ،
ومن حفنة الرمل يزهر ليل المدينه ،
ونحن نطوف بقايا نواح
نذرذر ليل السكينه
نسائل عن نجمة ، عن اثر ،
على الرمل ، عن مرفأ يستباح
لترسو عليه سفائن وجد حزينه
ليعمل منه الفجر ،
خيوط انتظار ايوم السفر

* * *

لان بيادرنا ما اطاف الخضار
عليها ، ولا أزهرت في تلال الصنوبر
مطارح وجد ، مضغنا الدروب
ونحن نقول ستزهر
لان الاماني انتظار
وجوع الى حفنة من رجاء ،
أتينا وما من صباح
نشد عليه الاضالع ، ما من مساء
نساهر فيه الهوى والرياح ..

* * *

سنبقى نجوب السنين اشتياقا وحبا
غناء يمد الى الله وربا ،
ليندى علينا من النور دفء وطيبه
ويلثم منا الوجوه الكئيبه
ويمسح عنها اغتراب الحياه ..

* * *

الى الغد نحمل زهر التمني ،
ونحرق الذكريات
وفي خضرة القلب والوجه نبقى ،
نلامس خفق الشراع ونبكي غداة السفر
فأواه ياريح لو تحملين
بقية شوق . وذكرى حنين
واواه لو تمرحين
عن المتعبين
عذاب القدر .

محمد اسماعيل الاسعد

الانحراف الجنسي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ ـ

تنسل الى يدها ... ومن خلال ملابسها الحريرية الداخلية تلمس نكويرة جانبها ، وظهرها الاملس المستقيم ونتوءات عمودها الفقري ... ثم راحت اصابعه تتحسس جسدها الدافىء من تحت ردائها ، وتضمه برفق وبطء منتش . انه يعرفها . واحس ان اصابعه يمكنها ان تنحتها تمثالا دافئا متموجا في الظلام . ولم يشتهها ، لان الشهوة كانت ستبطل نشوة السحر . وراح يغوص اعمق فاعمق في غيبوبة السعادة التي كان يحس بها في الظلمة . كانت نائمة بين ذراعيه ، وسرعان ما وجد نفسه يغط في نوم عميق . »

ومن الطريف ان هذا الوصف الفنائي شبه الغيبي للعاطفة الجنسية يخالف المواقف الجنسية المعتادة في كتابات هكسلي . وهناك مثال على هذه المواقف جاء في رواية هكسلي المسماة Point couter point ففي رسالة الى والتر تصف « لوسي تانتاماونت » كيف التقطت شابا ايطاليا واخذته بسيارتها الى احد الفنادق :

« ودنا مني وهو يصر على اسنانه كأنه يهم بأن يقتلني . اغمضت عيني كشهيد مسيحي يواجه الاسود الجائعة . غريب ان يترك الانسان نفسه عرضة للالم والاذلال ، لان يصبح ممسحة للارجل . لقد اعجبني ذلك ... كان منظره وحشيا جميلا كهندي احمر . وكان هو وحشيا رائعا كمنظره . ما زالت اثار عضاضه بارزة على عنقي . ولا بد ان استرها بوشاح لعدة أيام . ترى اين شاهدت تمثالا لمارسياس وهم يسلخون جلده ؟ كان وجهه شبيها بذلك ، حتى انني غرزت اظافري في ذراعه ، حتى نفر الدم منها ... »

وهناك في رواية «العبقري والالهة» The Genius and the Goddess منظر اخر افترض فيه على ما يبدو ان يجسد موقفا جنسيا كاملا، لكنه هذه المرة يعبر عن موقف كلامي لا حركي في غالبيته :

« ليلة الثالث والعشرين من نيسان تلك ، كنا في العالم الاخر هي وانا ، في سماء مظلمة خرساء من العري واللمس والانصهار . اية رؤى تلك التي تجلت في سمائنا هذه ، اية اعياد !! كانت ضماتها كملائكة فجائية » . وفي هذه الحالة ، فقد تم الجماع ، لكن الوصف هنا اقل اقناعا من وصف المنظر السابق في روايته Antic Hay حين ينام الحبيبان . وفي الفهرس الملحق بكتاب « ادونيس والابجدية » Adonis and the Alphabet يثير هكسلي سؤالا طريفا يلقي بعض الضوء على المشهد الوارد في Antic Hay يتحدث فيه عن « جون همفري نويس » مؤسس طائفة الاونيدا Oneida في الولايات المتحدة وعن نظريات نويس حول « العفة عند الذكور » .

كانت طائفة اونيدا هذه تجربة اسماها نويس « مشايعة التوراة » وهي تقوم على اساس « المشاركة للجميع » واغرب خصائصها هي المشايعة في الجنس . لان نويس يعتقد ان امتلاك المرأة لرجل واحد هو اثم ، فالمرأة في المجتمع الاونيدي يجب ان تكون للجميع ، ولئلا يكون ذلك سببا في حالات محرجة مثل ان تصبح النساء عرضة للعمل المستمر، فقد قضى نويس باتباع نظام « الكاريتزا » Karezza (وهو عبارة عن « الفكرة القائلة بانه يمكن فصل الوظائف الغرامية للاعضاء التناسلية عن الوظائف التناسلية ») ، وذلك بأن يحجم الرجل عن الوصول الى النشوة الجنسية وبالتالي القذف .

ويدعي نويس أن هذه الطريقة اكثر ارضاء من الجماع العادي الذي يصل ذروته في القذف . والهدف من دعوة نويس هذه ، هو اقامة « المسيحية الكمالية » والترويج لفكرة الكاريتزا والزواج الجماعي. وقد دافع مختلف معتنقي فكرة الكاريتزا دفاعا جادا كبيرا عنها ، بل ان كتابا معينين ذهبوا الى ابعد مما ذهب اليه نويس واقترحوا على المتزوجين بان يتركوا لرغباتهم الجنسية ان تصل الى نقطة التوتر الشديد على الا تبلغ مرحلة الجماع . وهم يؤكدون انه حين يقوم الرجل بعد فترة طويلة من التحضير بايلاج عضوه التناسلي في المرأة ... شريطة الا يقوم باية حركة قد تدفعه الى حالة القذف ... فان الرجل والمرأة معا سيمارسان حالة من الانفعال الجنسي العارم تفوق اي احساس ينجم عن الجماع العادي . وهناك من يصف هذه الحالة بأنها تماثل احيانا ، الشعور بالتحليق في الهواء .

ومن الواضح ان هكسلي في روايته Antic Hay كان يصف شيئا شبيها بذلك . ويؤكد بهذا تقبله لفكرة الكاريتزا في ملحق « ادونيس والابجدية » .

قد يبدو ، من الممكن اذن ، ان نويس قد توصل الى طريقة تمكن المركز الجنسي من العمل بطاقته الخاصة. فالتشديد على الارتخاء التام وعلى السيطرة سيطرة كاملة على الرغبة في الوصول الى القذف من شأنهما ان يضمنا عدم تدخل المركز العاطفي او العقلي في عمل المركز الجنسي . فمن المؤكد تقريبا ، ان العملية الجنسية لا بد وان تتداخل فيها عواطف وافكار خارجة على الجنس ، الا في الحالات التي تتم فيها العملية بعد طول انتظار . وفي عملية الكاريتزا فان المدى الزمني الذي تنطوي عليه من شأنه ان يمكن الطاقة الجنسية من ان « تتصفى » وتعزل عنها كل انواع الطاقة الاخرى .

اذن فان جورديف ينافض جيد ويقترح بأنه يوجد هناك بالفعل شيء اسمه « الجنس الطبيعي » وذلك حين يعمل المركز الجنسي بطاقته الخاصة . وهو يلمح الى انه حين يحدث ذلك فان كل رغبة في اللاتمييز سوف تختفي لان الرجل والمرأة يصبحان بالنسبة لبعضهما البعض عندئذ نجسيما حيا لمبدأ التحام الذكر والانثى . ولا يمكن لاي شريك جنسي اخر ان يقدم اكثر من ذلك .

« اللا اصالة » في الدافع الجنسي :

من الضروري حتى عند هذا الحد المبكر ان نحاول التوصل الى تعميم اوسع حول علاقة الدافع الجنسي « بالطبيعة البشرية » لان اصطلاحات البحث قد اثبتت محدودية كبيرة حتى الان . وبوجه عام فانه يمكن القول ان النشاط الاساسي لكل الكائنات الحية هو تصريف اشكال مختلفة من التوتر ، وان عملية التصريف هذه تؤدي الى «توسيع» الوعي مؤقتا .

ان رجلا جائعا مثلا يحس بتوتر جسدي يتولد عن عملية الاكل ، يصحبه احساس يقيني « بالحياة » . لكنه لن يمارس هذا الاحساس اليقيني بنفس الدرجة اذا اكل على دفعات كل ساعتين لانه بذلك لا يدع للتوتر اية فرصة للتفاعل .

وقد يتم انعتاق التوترات بطرق متنوعة وعلى مستويات مختلفة : جسديا عن طريق الاكل او الشرب او تدخين سيجارة ، عاطفيا عن طريق الاستماع الى الموسيقى او مشاهدة فيلم او قراءة رواية غرامية ، فكريا عن طريق حل مسألة رياضية او لعبة الكلمات المتقاطعة . وكل الالعاب تهدف الى اعتاق التوتر عن طريق شحذه وتنميته ثم السماح له بالاستكانة والارتخاء (ولكنه يجب الانتباه الى ان اللعبة التي لا تؤدي الا الى اعتاق التوتر الذي ولدته ونمته ، هي لعبة سيئة ، لان وظيفة اللعبة هي ان تعتق كذلك العواطف التي كانت حبيسة قبل ان تبدأ اللعبة .) وبعض هذه التصريفات تؤدي فقط الى تهدئة الاعصاب في حين يؤدي بعضها الاخر بصورة اكيدة الى تعميق حالة الوعي .

ولقد اشرت في مكان اخر الى انه من السهل نسبيا الوصول الى حالة « تعميق الوعي » من خلال الجسد ... عن طريق الجنس او اشكال اخرى من الانفراج الجسدي . كما انه ليس من الصعب الوصول

(١) يسمونها في اميركا « غدا وغدا وغدا »
Tomorrow and tomorrow and tomorrow

اليها عن طريق العواطف . لكن الاكثر صعوبة هو الوصول الى حالة عميق الوعي فكريا .

ان النشوة الجنسية تجرف معظم الرجال « بعيدا عن انفسهم » وان نسبة كبيرة منهم قد خبروا الانعتاق عن طريق العواطف العنيفة. وقليلون جدا هم الذين خبروا زخما وعمقا كاللذين تميز بهما اينشتاين او نيوتن .

ومع ذلك فان هذه الحاجة الى الانعتاق ، الى تعميق الوعي ، هي من اولى الفعاليات البشرية الاساسية . يستدل من هذا انه مهما تكن الغايات النهائية لقوة التطور التي تسير الانسان ، فان الوعي المعمق يلعب بلا شك دورا هاما في هذه الغايات . وقد يكتب اليوت بكآبة ان الحياة الانسانية كما تبدو ليس لها معنى اخر غير « الولادة والاتصال والموت » لكنه يغفل عاملا اساسيا لا يقل منزلة عنها ، وهو الحاجة الى وعي اكثر شدة يتحكم في كل النشاط الانساني ، والغريب اننا لا ندخل هذه الحاجة التي نحس بها في حسابنا ابدا ، بل نعتبرها نزوة غير هامة في حقل النشاط الانساني . ان الانسان لا يتساءل عندما يستيقظ صباحا : « هل سأحصل على لحظة من تعمق الوعي اليوم ؟ » انه يفكر فقط فيما يجب عمله وليس في حالة الوعي التي سترافق هذا العمل. فاذا كان هذا الشخص رجلا عاملا مقيدا بوظيفة روتينية تمنحه قدرا ضئيلا من الرضى ، فانه يشعر احيانا بأن الحياة عقيمة ومجدبة تماما. « انني اعمل لآكل ، وآكل لكي اقدر على العمل . » انه لا يحلم بأن يضع في حسابه تلك اللحظات العرضية من «الانشراح» التي قد يولدها فيه قدح من الجعة او يوم من ايام الربيع او التي قد يحس بها بدون اي سبب بالذات . ان الناس يسلمون جدلا بوعيهم وحالاته المختلفة.

وانا احاول ان ابين أن الاشياء التي يعتبرها الناس عادة«غاياتهم» هي في الواقع « سطحية » ولا يحتاج الامر لفيلسوف ما لكي يكتشف ان معظم هذه الغايات بلا جدوى . لكن كل الالعاب وبالطريقة نفسها ، هي كذلك بلا جدوى لانها تتطلب جهدا عظيما في حين ان نتائجها لا تؤدي الى اي تغيير جذري . وما يعطي هذه الالعاب غاية ومعنى هي حالات الوعي التي تتواجد اثناءها .

وعلى هذا فان الدافع الجنسي يملك عاملا هاما كما هو الحال بالنسبة لكل الدوافع الانسانية الاخرى . انه ليس شيئا فريدا تقريبا ينتمي الى نظام اخر للاشياء ، فمع ان تفهم الانسان لدوافعه الجنسية وسيطرته عليها هما افل مثلا من رغبته في جمع المال لتأمين حياته ونفسه، فهذا لا يعني انه دمية او عبد في يد قوة غامضة خفية . ان الرغبة الجنسية تختلف عن باقي الرغبات الانسانية في ناحية هامة واحدة فقط، انها اقصر واسهل السبل الى « تصريف التوتر » وتعميق الوعي . فهي ترضي وتلائم غاية الانسان وطبيعته .

وقبل ان ننتقل من هذه النقطة الى غيرها فانه من المفيد ان نعقد مقارنة بين الفقرات المقتبسة التالية :

« واجتاحت حواسي لذة رائعة لكنها منفردة ، منعزلة ، بدون اي ايحاء عن مصدرها . وفي الحال بدأت اشعر باللا اكتراث نحو صروف الحياة وتقلباتها ، وراحت مآسيها تبدو لي مسالة غير مؤذية وقصرها ضربا من الوهم . هذه اللذة الجديدة ، انها تؤثر في كالحب ، تملؤني بجوهر نفيس . لا بل ان هذا الجوهر ليس في ، انه انا . ولم اعد منذ تلك اللحظة احس بالعادية، بانني مجرد انسان فان ، شيء عارض.»

« ... وانطلقت في داخلي ضحكة منعشة ، وفجأة عادت الى ذاكرتي نوتات البيانو المنسية وراحت تعلو في داخلي كفقاعة من الصابون تعكس على صفحتها القزحية صورة مصغرة للدنيا باسرها ثم تنفجر برقة ... كان الدرب الذهبي متوهجا. انه يذكرني باللانهاية ،بمونسارت، بالنجوم . وصرت لساعة قادرا على ان اتنفس مرة اخرى ، ان احيا واواجه الوجود.ولم تعد هناك حاجةلان اتعذب واحس بالخوف والعار.»

« ... فجأة طرأ على حواسي تغيير غامض . ورحت اعبر حالة من الوجود حيث لا شيء يهم سوى انتشار الفرح المختمر في جسدي. ما كان قد بدأ كامتداد حلو لاعمق جذوري قد تحول الى رعشة مضطرمة راحت تتنامى حتى وصلت الان الى حالة من الشعور بالامان المطلق والثقة والاعتماد على النفس ليست موجودة في الوجود الواعي . واذ تملكتني هذه العذوبة الدافئة العميقة وبدأت تنسل نحو انتفاضتها الاخيرة،احسست بانني استطيع ان اتباطأ لكي اطيل الوهج الذي في.»

الفقرة الاولى من الفقرات الثلاث السابقة مقتبسة من بروست. ان مارسيل يتحدث فيها عن اللحظة الغريبة ، لحظة « استذكار الاشياء الماضية » التي اثارها في نفسه مذاق كعكة مغموسة بالشاي .

المسماة « شتيبنوولف » Steppenwolf وهي تصف لحظة من الانعتاق

اما الفقرة الثانية فهي من احد مؤلفات « هيس » Hesse ولدها قدح من النبيذ .

والفقرة الثالثة ماخوذة من رواية « لوليتا » لنابوكوف وهي وصف للحظة يمارس فيها « همبرت » الاستمناء بحذر شديد وذلك عن طريق حك قضيبه المنتصب بجسد لوليتا « الغافلة عما يجري » .

ان اوجه الشبه في اللغة تلفت النظر ، ولتاكيد هذا التشابه نسوق هذه الفقرة من « شتيبنوولف » وهي تصف امتدادا للوعي الناجم عن نشوة شهوانية :

« ... وبلمسة سحرية من ايروس (1) انفتح معين الذاكرة وراح يتدفق بغزارة . ولبعض لحظات وقف قلبي ساكنا بين الفرح والاسى ليكتشف كم هو غني رواق حياتي ، وكم تزخر روح شتيبنوولف البائس بالنجوم والكواكب الابدية السامقة . »

من الصحيح ان تاكيد الدافع الجنسي لا يؤدي بالضرورة الى مخاطبة العقل ، او حتى العواطف بهذا الشكل ، وانه قد لا يكون اكثر من مجرد شعور بالدفء الجسدي الداخلي وبالارتياح . لكنه ينبغي الاخذ بالاعتبار ان هذه التجارب كالتي وصفت اعلاه يمكن ان تعد من بين اسمى انواع التجارب الجنسية .

(1) اله الحب في الاساطير الاغريقية .

آخر منشورات

دار الاداب ـ بيروت

ق.ل

دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي
للدكتور عبد الرحمن بدوي ٣٥٠

تجديد رسالة الغفران لخليل الهنداوي ٢٥٠

جومبي (رواية) لاديب نحوي ١٢٥

● الخيل والنساء (قصص)
للدكتور عبد السلام العجيلي ٢٠٠

رحماك يا دمشق (قصص)
للدكتور سهيل ادريس ٢٠٠

د.ه. لورنس واللواط :

تثير الفقرة المقتبسة من لوليتا ، بل وتثير لوليتـــا « باكملها » السؤال الرئيسي مره اخرى عن « الشذوذ » فاذا امكن الوصول الى ارفع انواع الحبرة الجنسية بمثل هذه الاساليب ، الا يصبح من الممكن ان نصف هذه الاساليب « باللا اصالة » ؟ وهذا السؤال يفتح مشكلة « الانحراف الجنسي » على مصراعيها . وهنا نجد ايضا انه من المفيد لنا ان ندرس بعض الحالات .

يعتبر د.ه. لورنس عاده الكاهن الاعظم لنوع من الجنس«الطبيعي» ومع ذلك فقد اشار البروفسور « ولسون نايت » في مقال ممتاز ان لورنس قد شدد كثيرا في كتاباته على عملية اللواط . ونجد ان معظم الاحداث الجنسية في بداية روايته « عشيق الليدي شاترلي » هـي احداث « طبيعية » . الا انه عند نهاية الفصل السادس عشر نـــرى ميلورز يضاجع كونستانس شاترلي «على الطريقة الايطالية» . ولورنس يتعمد بحذر الا يكون صريحا جدا ، لكن هناك عدة اشارات اوليه في الكتاب تؤدي في النهاية الى هذه العملية الاخيرة . فكونستانس شاترلي « خائفة قليلا ، لكن لتدعه ينصرف على هواه » والشهوة تضطرم فـي « العورات ، في اعمق واقدم العورات ، في اكثر الاماكن الخصوصيه المستورة » ، وشعلة الرغبة « تنفض على احشائها ونهديها » ، وبهذا لا يترك لورنس مجالا للشك في انه يعتبر هذه العملية نوعا ما اعمق كمالا وبلوغا من الجنس « الطبيعي » (مع انه لا يوجد هناك طبعا اي دليل على انه يعتبرها بديلا للجنس الطبيعي) .

وبالطريقة ذاتها،فان روايته«نساء في الحب» Women in Love تحتوي على مشهد غريب يجري بين ارسولا وبيركين في الفصل المسمى excurse ، وفيه تبقى التفاصيل المحددة غامضة وكل الذي نعرفـه هو ان ارسولا تركع امام بيركين وتجعله يبلغ ذروة النشوة الجنسية وذلك بأن تتحسس باصابعها الطويلة الرائعة «ما خلف اسفل الخاصرة» الى « قرار سلطان الظلمة » . ولورنس يوضح انه لا يتحدث بذلك عن العضو التناسلي ، اذ انه يكرر كلمة « خلف » عدة مرات . ويعلق قائلا ان ارسولا كانت تظن انه « ليس هناك مصدر للذة اعمق من ذلك المرتبط بذكر الرجل » الى ان مرت بهذه التجربة ، التي يكشف فيها لورنس النقاب عن ان بيركين كان قد ضاجع ارسولا بالفعل « علـــى الطريقة الايطالية » ، الا ان ارسولا قد اكتشفت الان كيف تمنح بيركين ابلـغ واعمق متعة . وهو يقول في مكان لاحق ان ارسولا « كانت بوافعيـة اطراف اصابعها الرائعة تلمس مكمن الوافعية فيه . » ويبرز هـذا المعنى في قصيدة للورنس بعنوان « البيان » Manifesto حيث يقول:

« اريدها ان تلمسني في الاخير ، اه ، في جذر وقعر ظلمتي .. »

وفي عملية اللواط التي تتم بين بيركين وارسولا يشير لورنس كذلك الى « جذر ظلمتها » .

ويؤكد البروفسور ولسون نايت بكثير من الوضوح ان لورنس كان يعلق اهمية عظيمة على هذه العملية الاخيرة ، وهو يقدم في مقالتـــه المعنية عددا ضخما من الادلة الكتابية على ذلك (1) .

ومن الصحيح القول انه لا حاجة هنا لان نجد تفسيرات سيكولوجية معقدة لظاهرة قد تكون ذات اساس جسدي محض . فالمناطق الاستية « الشرجية » على كل حال تشارك الاعضاء التناسلية بعض الحساسية الجنسية . وقد فات البروفسور نايت ان يشير الى تلك الفقرة فـي مونولوج مسز بلوم التي تذكر فيها ان عشيقها « جعلني اقضي اللقاء الثاني وهو يدغدغني باصبعه من الخلف » والتي تصف فيها بعد ذلك فرط استمتاعها الجنسي .

(1) « لورنس ، جويس وبوويس » دراسات نقدية . اكتوبر ٦١
Lawrence, Joyce and Powys

ويروي هيرشفيلد قصة مومستين شقيقتين تخصصتا في عملية اثارة زبائنهما عن طريق القضيب والشرج في نفس الوقت . ويضيف هيرشفيلد : « يقول فرويد ان تصريف الامعاء والبول تصاحبه احاسيس مماثلة من اللذة . » لكنه يشير الى ان بعض الناس لا يمارسون التقبيل وانهم لذلك لا يعتبرون الشفاه من بين «المناطق الحسية الشهوانية».

كما يروي هيرشفيلد قصة مومس كانت تقوم احيانا بلعق العضو التناسلي بينما كانت في الوقت ذاته تولج منديلا حريريا في شرج الزبون ثم تسحب المنديل عند بلوغ ذروة النشوة .

وكانت هذه المومس تدعي ان هذه العملية تؤدي الى تجربة جنسية عميقة اروع من « الجماع الطبيعي » .

وعلى هذا فانه من غير الضروري تقريبا ان نتكهن كيف انجـرفت عملية الجنس الطبيعي عند لورنس الى مبـــدأ التهيج الاستي . ان البروفسور نايت يقتبس فوق ذلك فقرات من رواية بوويس « غرام في جلاستونبيري » Glastonbury Romance ليسند حجته بوجود علاقة بين المناطق الاستية والنشوة الغامضة) . وكل من قرأ « نساء في الحب » و « عشيق الليدي شاترلي » بعطف وبعمق فلن يفوته ان يلاحظ « ان المشاهد المرتبطة بالعلاقات الاستية » ليست في الواقع الا تطورا طبيعيا لما سبقها . ولا شك ان الامر كان سيكون منطقيا كذلك لو ان العملية كانت عملية اثارة متبادلة عن طريق الفم . وعلى هذا ينبغي القول انه اما ان تكون الممارسات الجنسية « طبيعية » او ان غيبية لورنس الجنسية خاطئة في الاساس بطريقة ما . ولا يهمنـــي الان ان اناقش ايا من الرأيين ، بل ان ما اريد ان اشير اليه هو ان الحـــد الفاصل بين ما يبدو طبيعيا وما يبدو « غير طبيعي » واه جدا .

ومن ناحية اخرى فان بول دي ريفر يسوق في الفصل السادس من مؤلفه « المجرم الجنسي » The Sexual Criminal حالة مفيدة.

مواقف

سلسلة دراسات رائعة بقلم :

جان بول سارتر

في ست حلقات صدرت كلها

١ ـ الادب الملتزم	٥٠٠	ق.ل
٢ ـ ادباء معاصرون	٤٠٠	ق.ل
٣ ـ جمهورية الصمت	٤٠٠	ق.ل
٤ ـ قضايا الماركسية	٤٠٠	ق.ل
٥ ـ المادية والثورة	٤٠٠	ق.ل
٦ ـ جمهورية الصمت	٣٥٠	ق.ل

منشورات دار الاداب

فهو يروي قصة حارس مدرسة أبله قتل ثلاث بنات (ما بين سن السابعة والتاسعة) و ركب مع ثلاثتهن اللواط والجماع « الطبيعي » . وكان هذا الحارس متزوجا الا انه تملكه الشعور بأن مهبل طفلة ضيقا ، هو الوحيد الذي يستطيع ان يوصله الى اعمق حالات الاستمتاع الجنسي، فبعد ان اغرى الطفلات بالذهاب معه الى مكان منعزل بحجة انه سيريهن بعض الارانب ، اعتدى عليهن واحدة واحدة ثم خنقهن . وقد اعتدى على اثنتين منهن اعتداء مزدوجا . وحين تم استجوابه فيما بعد اعترف بأنه خبر اكبر قدر من اللذة مع اكبرهن سنا . وهنا يتضح مدى اضطراب وتشوش رغباته ، فقد كان يتصور بأنه لا يستطيع أن يبلغ اكبر قدر من المتعة الا مع بنت صغيرة ، لكنه في الواقع فضل البنت الكبرى الاقرب الى الانوثة .

وللوهلة الاولى فقد تستخدم هذه الحادثة كحجة لنقض الفكرة القائلة : « ان بلوغ اقصى مدى من الالتقاء الجنسي يجب ان يكون هدفا في حد ذاته » لكن تشوش الرجل الحارس ينسف هذه الحجة ويبرهن على انه لم يكن يدرك ما يريد تماما . وفي الواقع ان هذه الحادثة تؤيد موقف لورنس من ان بعض التطورات التي تتفرع من عملية الجماع العادي ليست « غير طبيعية » . ان « لا طبيعية » الحارس ناشئة عن ارتباكه وتشوشه وعن سوء ادراكه لرغباته ، ومثل هذا التشوش غير موجود عند لورنس ، بل ان مناوئيه يقرون ان هناك منطقا داخليا قويا في سياق تطور غيبوبته الجنسية .

وهذه المشابهة بين لورنس وحادثة الحارس التي سردها بول دي ريفر ، توضح لنا أن نظرية تولستوي في الجنس هي الوحيدة التي تطرح رؤيا متماسكة ثابتة عن الشذوذ . وقد يكون لورنس وحارس المدرسة على طرفي نقيض ، لكن الفارق بينهما هو فارق « كمي » ، ذلك ان كليهما كان يؤمن بان الجنس « يجب » ان يؤدي في النهاية الى التقاء جنسي عميق ومرض يتجاوز العملية العادية «للجماع الجنسي».

وينبغي ان نلاحظ ان هذه النظرة موجودة ضمنا في تسامحنا المتزايد نحو الكتب التي تدور حول الجنس . فحين تم نشر كتب مثل « يوليس Ulysses و « بئر الوحدة The Well of Loneliness

و « لوليتا » و « عشيق الليدي شاترلي » بحرية ، فمعنى ذلك اننا على استعداد لان نتقبل النظرة القائلة ان العمليات الجنسية الواردة في هذه الكتب ليست « غير طبيعية » كلية .

ان تولستوي كان سيشجبها كلها كما شجب رواية « الصديق الجميل » Bel Ami لموباسان على اعتبار انها كتب داعرة ، لانه يؤمن بأن اي نوع من التشديد على المتعة في الجنس هو عمل « شاذ ». وبهذا المقياس فان « عشيق الليدي شاترلي » شاذ تماما ، كـ « بئر الوحدة » او رواية انجوس ولسون « العلقم وما بعده » Hemlock and After

ومع ذلك فان هناك القليل منا ممن هم على استعداد لان يتقبلوا نظرية تولستوي كحل . فتولستوي يعتقد انه اذا بلغ النوع البشري بوما مرحلة الكمال شبه الالهي ، فان الجنس سيختفي الا « كواجب » (لاستمرار النسل) يقضى بين الحين والحين . ومن الصعب الاعتقاد ان تولستوي قد توصل الى رؤيا متزنة للدور الذي يلعبه الجنس في تكوين الانسان الشامل .

هذا واود في الفصول اللاحقة ان احقق في مسألة الدور الذي يلعبه الجنس ، وذلك من خلال دراسة دور الجنس في حياة عدد من الرجال والنساء والنظريات الجنسية التي تستبطنها مواقفهم واتجاهاتهم.

ترجمة
يوسف شرورو وسمير كتاب

صدر حديثا

للكاتب الانكليزي الشهير

كولن ويلسون

ضياع في سوهو

ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق

رواية رائعة صور فيها مؤلف « اللامنتمي » تجربة نابضة بالحياة قام بها شاب بين غرباء الاطوار والفنانين في احد احياء لندن الشهيرة ، بلهجه جديدة هي سر ابداع الكاتب الذي تترجم آثاره الى جميع لغات العالم .

وقد حصلت « دار الاداب » على حقوق ترجمة هذه الاثار الى اللغة العربية ، وستقدم بعد هذه الرواية عددا من كتبه الجديدة التي صدر بعضها وتم بصدر البعض الاخر باللغة الانكليزية .

الثمن ٤ ليرات لبنانية .

منشورات دار الآداب